كتب

ضمن منشورات المتوسط بميلانو في إيطاليا، صدرت رواية جديدة للكاتب المصري وحيد الطويلة بعنوان «حذاء فيلليني». وتتوزع على أربعة عشر مشهدا.

صدرت للروائي الأميركي جوناثان فرانزن رواية بعنوان «نقاء»، يناقش فيها الحالة النفسية للإنسان في عصر الإنترنت والإنسان الأميركي.

«موسم الكبك» تغريبة الفقراء في قرية مصرية

● رواية واقعية ترويها شخصيات مضطربة في سرد مفتت

أنْ تصنعَ لنفسك صوتا وتزاحم بعمل لافت وسط هذا السيل الجارف من الإبداع وعلى الأخص الروائي، بين غثه الكثير القاتل لكلّ موهبة حقيقية، والذي وصل "حدّ الإسهال"، كما عَبَّرَ عن ذلك الأديب الكبير الراحل محمد مستجاب ذات مرة، لهو أمر صعبٌ وعسير، ويستوجب أدوات وتقنيات وتيمات بعيدة عن التكرار والسّائد والسّطحي، تفرض بها على مُتلقيكَ أن يسمعَ لكَ لما تقول. وببساطة هذا ما فعله الجنوبي أحمد إبراهيم الشّريف القادم من مدينة أسيوط.

ممدوح فراج النابي

❏ رواية المصري أحمد إبراهيم الشريف "موسم الكبك" الفائزة مؤخرا بالمركز الثاني مناصفة لجائزة ساويرس للشباب في دورتها الحادية عشرة، رواية عن القرية وأوجاعها سواء أوجاع الفقر التي تجعل من أبنائها يرتحلون أو من السلطة وأيضا من لوعة الحبّ المحرّم والممنوع، ورواية أيضا عن المهمشين الذين ارتضوا العيش "تحت الحيط"، لكن قسوة الأعلى هرستهم وأطاحت بأحلامهم البسيطة.

صعيد مصر في طور التغير

رواية المهمشين

بنى الكاتب روايته، الصادرة عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، على حادثة واقعية حدثت في التسعينات لصيادي الكبك من قريته بعدما أخطأت سفينة السُّيَّاح القادمة من الشّمال والمتجهَّة إلى بلاد الفراعنة، وما نَتَجَ عن هذه الحادثة من هرج ومرج وإطلاق نيران لا أحد يعرف مصدرها، أو أول من قام بها، لتنقلب حياة الصيادين رأسا على عقب على الرغم من التأثير السلبي للحادث على حياة أهل القرية، حيث أوقف حركتها كما صور الكاتب بقوله "خيّم السكون.. ولم يقوَ أي واحد على النطق.. وقفت الصرخات غصة في حلوقهم، والزمن توقف لثوان معدودة مرت عليهم كدهر، ولم يتمالكوا أنفسهم، ولم يروا سوى بيوتهم الصغيرة وهي خربة بضياع الشباك وانتهاء موسم الصيد في بدايته". إلا أن المؤلف يجعل منه صدى للرواية وليس المحور الرئيسي للأحداث. وتنحرف الرواية وأحداثها عن هذا الحادث لتقدم لنا حكايات هذه الشخصيات التي وجهت لها السلطة الاتهام، رغم أن الكثير من هذه الشخصيات لم تكن لها علاقة بالحادثة بل ولم تكن موجودة في القرية أثناء وقوعها.

أحمد الشريف يتبنى في نصه استراتيجيات كتابية تعمد إلى التجريب الذي يميّز نصه، فثمة رابط جوهري بين المتن (أصل الحكاية) والهامش الذي يشرح فيه بعض المفردات والعبارات، حيث لا تكتمل الحكاية إلا بالهامش الذي صار متنا جديدا أعطى أبعادا ودلالات أخرى للنص. فالحكاية التي يرويها الكاتب قد تبدو حكاية بسيطة وأيضا حكاية غرائبية أو أسطورية بفعل علاقة المتن بالهامش. فالنص قائم على لعبة تفتيت الحدث الذي مرّ في لحظة زمنيّة من سكونية القرية، وأيضا الزّمن الذي يبدأ بزمن الحادثة ليتوزع على أزمة تمتد لزمن ما قبل عوض معبد، وهو إحدى الشّخصيات التي وُجِّه إليها الاتهام، زمن موغل في القدم منذ أن كانت أمه تلعب مع رفقائها وفي اليوم التالي زفت إلى رجل كان يفترسها كل ليلة ثم لفظها، وهو ما يعكس تاريخا من القهر للمرأة لا تبدأ بكونها أما أو زوجة بل منذ طفولتها، حيث وأد هذه الطفولة امتثالا لعادات تزويج الفتيات في سن مبكرة.

ويصل الشريف إلى أزمنة تذهب إلى حرب الخليج وعودة فرج محمدين الذي لا يحمل إلا الاستمارة الصفراء التي تشير إلى ما لديه من أموال في البنوك هناك، وترمس شاي، ومنها إلى زمن بعيد نسبيا يصل إلى عمّال التراحيل أيام زبانية الخديوي، وجميع هذه الأزمنة التي تستحضرها الشخصيات وفق حضورها في النص وترتبط بقهر السّلطة منذ حادثة التبليط الأولى، حيث أخذت الحكومة الكثير من أهل القرية دون معرفة مكانهم أو حتى عادوا كما كان يعود عمّال التراحيل إلى زمن الرجال الذين يرتدون نفس الملابس ويسألون عن المعتدين على مركب السّياحة، إلى زمن المدّ الدينيّ وبداية خروج المارد من قمقمه.

النص المفتت

ثمة حكايات مستقلة لكلّ شخص من الشخصيات التي تروي النص: ابنة حياة، عوض معبد، ومحمد عمران والشيخ أبوزيد علي حسن والفتى العاشق هاشم والغريب. والمشترك الوحيد في حكايات هذه الشخصيات لا في كونها هي من تروي حدث السفينة وفقا لاستجوابات التحقيق، وإنما الرابط المهم هو المآسي التي عاشتها جميع هذه الشخصيات كل على حدة. فابنة حياة هي ضحية للفقر الذي جعل الأب مغتربا والأم تنصاع لنداء الرغبة في داخلها، فيقتل الأب الأم في طقس طوطمي اشتركت فيه القرية كلها بالنميمة تارة وبالتحريض تارة أخرى. وعوض معبد ضحية أيضا لذكورية أب ترك ابنه إرضاء لإشباع نزوته، فربته الجدة ومن شدة العوز ترك المدرسة، وهاشم الذي هام عاشقا خلف سيدة طما يجد نفسه متورطا في حكاية لم يكن حاضرا فيها.

وثمة تفريعات لحكايات جانبية لا علاقة لها بالحدث وإنما تكشف عن بنية القرية وعقليتها التي تحتكم إلى أنساق مهيمنة تغذيها الإشاعة كما في حكاية سعيد الذي وجدوه مقتولا عند رأس سعيد التي يبدأ بها الصيد محمد عمران، أو تكون مرهونة لخيالات عن الجن والعفاريت. كما أنّ الأماكن ارتبطت بشخصيات وحوادث، وهذه الاستراتيجية الكتابية في إلصاق اسم الشخصية بالمكان تتماشى مع واقع الصعيد الذي يقدس المكان في حضور شخصياته، كما ثمة اتصال وحميمة بين إنسان هذه البيئة والكائنات التي تعيش فيها، فالإنسان ليس هو الكائن الوحيد بل تشاركه الكائنات الأخرى كل ما يعانيه. فعامر ما إن يشعر بأن الخطر يقترب منه بعدما تمّ القبض على الشيخ أبوزيد، يقول "اسمي تلتقطه العصافير والغربان.. وتأتي إلي مسرعة.. فتجدني مختبئا خلف الزير، فقد سبقتها الريح وأخبرتني" وأم عوض معبد، تدور وتضحك تشاركها "الأرض في الرقص".

◄ النص يقوم على التجريب، حيث ثمة رابط جوهري بين المتن (أصل الحكاية)، والهامش الذي يشرح فيه بعض المفردات والعبارات

الرواية قائمة على لعبة التجريب سواء على مستوى تفتيت الحدث، أو بناء نص على حدث هامشي لا يتردد إلا صداه داخل النص، لكن أهم تقنية صاغ بها الشريف نصه تتمثل في جعل المتن جوابا والهامش قرارا في سيمفونية يتم فيها تبادل الأدوار بين المتن والهامش، فيفصح الهامش عمّا أضمره المتن، حتى على مستوى اللغة التي تميل إلى الترميز والتلميح أكثر من الكشف والإبانة وهو ما يعكس قهر واقعها، فتمثله عبر الخصائص اللغوية والأسلوبية، وما دبج به النص من أمثولات يرويها الفلاحون أثناء جمع القطن أو أثناء جلوسهم لحراسة المساطيح في الليل، أو حتى الصيادون عندما يفردون قلوع شباكهم وفي أحايين تقترب من لغة الحكي الشفاهي في بيئات الصعيد وإن كانت بالفصحى.

اللعبة التي قوامها التجريب، لا تقف حدودها عند التراسل بين المتن والهامش فقط، فالنص قائم على التفتيت أيضا فليس ثمة حكاية بالمعنى المألوف للحكاية، تجمع الشخصيات وتوحّد حركة السّرد، بل ثمة رواة متعددون لا يروون الحكاية وفق شاهد العيان ورؤية أحدهم للأحداث من منظوره، وإنما يروون حكاياتهم.

أقباط مصر.. تاريخ من الصراع والوفاق

محمد الحمامصي

❏ يتناول كتاب "أقباط مصر.. التاريخ والقضية" لمؤلفه الراحل أبوسيف يوسف وتقديم راجي شوقي ميخائيل تاريخ الأقباط (المصريون المسيحيون) بدءا من العصر القبطي الذي كانت فيه مصر تحت الاحتلال البيزنطي، مرورا بالعصر الإسلامي بكل مراحله وانتهاء بالعصر الحديث.

ويشير أبوسيف في كتابه الصادرة طبعته الأولى عام 1987 عن مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت والثانية عن دار العين للنشر 2016، إلى أن القِبْط يتبعون حاليا ثلاثة معتقدات رئيسية تمثلها الطوائف الأرثوذكسية والكاثوليكية والإنجيلية (البروتستانتية). على أن سوادهم الأعظم يتبع الكنيسة القِبْطية الأرثوذكسية التي تعرف أيضا باسم "كنيسة الإسكندرية" و"الكنيسة المصرية"، وهي الكنيسة القومية وأقدم الكنائس في مصر.

ويؤكد أبوسيف أن استقراء تاريخ مصر يظهر أن روابط التكامل بين مسلمي مصر وأقباطها كانت تتأثر بمجموعتين متداخلتين من العوامل: الأولى تتعلق في هذه الفترة التاريخية أو تلك، بالأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية السائدة في المجتمع، وتتعلق الثانية بمكانة القبط أنفسهم في ظل هذه الأوضاع وذلك، على سبيل المثال، من حيث مستوى مشاركتهم السياسية وأنشطتهم الاقتصادية وعلاقتهم بجهاز الإدارة وأيضا بالدور الذي لعبته الكنيسة القبطية. وإن كان هذا كله لا ينفي الدور المستقل الذي تلعبه بعض الموروثات الثقافية من حيث هي كذلك، في إثارة اتجاهات متبادلة من التعصب أو تغليب دواعي التسامح.

وعلى ضوء ذلك يمكن أن يقال مثلا إن في العصور الوسطى كانت علاقة المسلمين والقبط تنحو إلى التوافق أو الاتساق في الوجود بقدر ما كان الحكام يتجهون إلى بناء دولة قوية، تهتم بتنمية الموارد وتعمير البلاد وتشجيع العلوم والفنون. وفي نفس الوقت وعلى سبيل المثال، فقد شكلت الغزوات الصليبية عنصر اضطراب في العلاقة بين المسلمين والقبط. فبقدر ما كانت هذه المرحلة أو تلك وما تمثله من مصدر تهديد للنسق الثقافي للأغلبية، فإنها كانت تفرز إسقاطات على قبط مصر من واقع أن ديانتهم هي ديانة الجيوش الغازية.

وفي العصر الحديث أسهمت مشروعات بناء دولة حديثة في صياغة نموذج متقدم للتكامل بين المسلمين والقبط. ونشير هنا بوجه خاص إلى المشروعات التي طرحها كل من محمد علي، أو البرجوازية المصرية التي تزعمت الثورة العربية أو قيادات ثورة 1919 أو مشروع ثورة يوليو 1952، وذلك على اختلاف وتفاوت التصورات والأسس الفكرية والأهداف الظاهرة لكل مشروع على حدة.

ويتضمن الفصل الأول لمحة سريعة عن الديموغرافية الاجتماعية والدينية للقبط، بينما يمهد الفصل الثاني للتغييرات الكبرى التي بدأت بعد الفتح العربي. فيتحدث عن سمات النسق المصري الذي تفاعلت معه الهجرات العربية، ثم يقدم لمحة عن تاريخ القبط تحت الحكم البيزنطي خاصة في حقبة طالت واستحكمت فيها التناقضات بين الرومان والمصريين بل واستعصت على الحل، ممّا أدى إلى خلق وضع تزايد فيه عجز الرومان عن حكم مصر، وبالمقابل عجز فيه القبط عن تحقيق الانفصال عن بيزنطة.

ويولي المؤلف اهتماما خاصا بالبحث في قضية تكوين مصر العربية، لاعتبارات رئيسية أشار إليها، منها أن التاريخ الاجتماعي لهذه العملية التاريخية لم يكتب بعد، وهو عمل يخرج في الوقت ذاته عن نطاق أي جهد فردي، ومنها أيضا أن الفترة التاريخية ـ خاصة القرون الخمسة الأولى للهجرة ـ كانت محل اجتزاء أو انتقاء أو ضحية نظرات ومناهج مثالية في فهم التاريخ.

ويعرض الفصل الرابع استمرار ارتباط القبط بالنسق الثقافي العام لمجتمعهم الأكبر، وذلك على الرغم من حدوث متغيرات كبرى تمثلت ـ بعد سقوط الدولة الفاطمية ـ في تراجع الحضارة العربية الإسلامية، وقيام سلالات أجنبية غير عربية، وتجدد الحروب الصليبية. فيقدر المؤلف أنه وإن حاقت بالقبط شدائد في بعض العهود إلا أن هذا لم يؤد إلى تهميشهم أو عزلهم. كما قاومت الكنيسة المصرية منذ القرن الثاني عشر كل المحاولات الأجنبية لتحويل ولاءات القبط والمؤسسة الدينية نحو كنائس غربية أو دول أجنبية.

ويتناول الفصل الخامس صيرورة التكامل في إطار محاولات بناء دولة عصرية على امتداد الفترة التي تقع بين أوائل القرن التاسع عشر وقيام ثورة يوليو 1952، ويتعرض الكاتب في الفصل السادس لسعي ثورة يوليو نحو إرساء أسس جديدة للتكامل، ثم لما ارتبط بالتطورات التي وقعت في السبعينات من مظاهر الخلل في العلاقة بين المسلمين والقبط. وأخيرا يعالج المؤلف في الفصل السابع بعض الإشكاليات التي ترتبط بقضايا التكامل بين المسلمين والقبط.

شاعرة في السوربون

حسن الوزاني
كاتب من المغرب

❏ تعتبر ماري كلير بانكار أحد أهم الأسماء الأساسية التي تطبع بحضورها الخاص المشهد الشعري الفرنسي الراهن. تتسم تجربتها ببحثها المستمر عن كتابة خاصة تنتبه إلى التفاصيل العميقة للإنسان ولقلقه الداخلي الأكثر احتداما.

ماري كلير بانكار عاشت فترة مرض خلال طفولتها، حيث كانت مقعدة طيلة خمس سنوات. وبالرغم من هذا الوضع المؤلم الذي حرمها من أن تعيش طفولتها بشكل عادي، فقد استطاعت أن تقرأ كل أنواع الكتب التي كانت تفوق مستوى عمرها آنذاك. وهذه القراءات هي التي أنقذتْ عقلها وجسدها كما تقر بذلك. وستحتفظ بانكار بعاداتها على مستوى القراءة خلال المرحلة اللاحقة، حيث بدأت الكتابة خلال الخامسة عشرة من عمرها، وإن كان الأمر بشكل سيء، كما تقر بذلك.

تبدو اهتمامات ماري كلير بانكار موزعة بين الكتابة الشعرية والروائية والنقدية، مع اهتمامها، على مستوى البحث النقدي بأكثر من لحظة تاريخية. من أدب أواخر القرن التاسع عشر إلى الشعر الأكثر حداثة. وتعتبر بانكار أن كل هذه النوافذ تمنحها قدرة الاستمرار في تمثل سؤالها حول الحياة. وانسجاما مع ذلك اختارت بانكار أن تهتم في بداية نشاطها النقدي بأدب مرحلة (1880–1914) بفرنسا، وذلك لأن الأدباء طرحوا خلال هذه الفترة الأسئلة الكبرى التي ظلت تحرك العالم إلى حدود اللحظة الراهنة: موت الآلهة، قلق المرجعيات الأخلاقية والسياسية، الطوائف، وولادة مجتمع التكتلات. وتابعتْ في ما بعد هذا المسار النقدي، غير أنها اختارت أيضا تناول الشعر السوريالي ثم المرحلة المعاصرة، وذلك مع التركيز على القصيدة التي تتم بلورتها الآن. وتعتبر بانكار كل ذلك معبرها لفهم الطرق التي اختارها الآخرون للكتابة.

زارت ماري كلير بانكار العديد من مدن العالم العربي. ومنحها ذلك فرصة لفهم جوانب مهمة من تاريخ ثقافة وحضارة هذا العالم. كما حرصت على قراءة العديد من الموسوعات والأعمال الأنطولوجية وقرأت القرآن. كما اطلعت على دراسات مجموعة من المؤرخين والمفكرين المستشرقين حول التصوف خصوصا، ومن خلالها على كتابات ابن عربي والحلاج. وعلى مستوى الأدب العربي المعاصر، قرأت بانكار أعمال محمد شكري ونجيب محفوظ ومحمد بنيس وعبداللطيف اللعبي وعبدالله زريقة، بالإضافة إلى جميع كتابات أدونيس المترجمة إلى الفرنسية. وتحتفظ بانكار بإعجاب كبير بالقصيدة العربية التي تتميز، كما تقر بذلك، بقوة صورها الرائعة وبدلالة حضورها الكوني. وهو الإعجابُ نفسه الذي تكنه لأدبيات المتصوفة الذين تعتبر الكثير منهم من الشعراء الحقيقيين.

وبعد أسابيع فقط ستنهي ماري كلير بانكار الرابعة والثمانين من عمرها. غير أن حضورها عبر النشر واللقاءات الشعرية داخل فرنسا وخارجها، يكشف عن شغف خاص بالكتابة وبالحياة، انتقاما ربما لطفولة لم تعشها.

البحث عن السعادة

❏ أبوظبي – صدر حديثا عن هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة ومؤسسة "كلمة" كتاب "الطفل السعيد" للكاتب الأميركي ستيفن هاريسون، ونقل الكتاب إلى العربية شحادة إسماعيل فالح، وستكون مجموعة النيل العربية الموزع الرئيسي المعتمد للكتاب.

ويرى المؤلف أننا "في مناقشاتنا حول الطريقة المثلى لتعليم الأطفال لا نسمع كثيرا عن هدف التربية سوى أنها واجب أو التزام اجتماعي وإعداد للطفل ليخوض غمار العمل في عالم الكبار (الراشدين)، كما أننا لا نسمع كثيرا عن الطفل نفسه ولا نسمع شيئا منه. وكل ما تطمح التربية والتعليم إلى تحقيقه هو إعداد الطفل ليؤدي دوره في مجتمعه الكبير. وهذا هدف نبيل بالنسبة إلى المجتمع. ولكن عندما ندرس جدوى تخريج عمال للمجتمع هل سنجد أننا أغفلنا المعنى الأعمق والهدف الأسمى للتعلم؟ انشغلنا بتربية أبنائنا إلى الحدّ الذي أنسانا جوهر العملية التربوية وهو إيجاد حياة سعيدة. والحياة السعيدة ليست لأطفالنا فحسب بل لأنفسنا أيضا".

لمراسلة المحرر
culture@alarab.co.uk